

ولم يقتصر أمر الانقسام على الخلافة وحدها؛ بل ان قبضة بغداد، حين ضعفت عن أطراف هذه المملكة المترامية، بدأ أمراؤها يستقلون بأمرها، ويستبدون بحكمها (1) وسواء أكانت العوامل الأساسية لهذا التفكك، راجعة إلى ضعف السلطة المركزية في بغداد؛ أو إلى ظهور ((الحركات القومية)) في هذه الاقطار؛ أو إلى صعوبة الاتصال بين بغداد وأطراف المملكة، سواء أكان أحد هذه الاسباب وحده، أو هي كلها مجتمعة، أدت إلى ذلك التفكك، فمما لا ريب فيه أن تيار التفكير الإسلامي لم يجمد، بل سار مسرعاً نحو الكمال؛ حتى يستطيع الباحث أن يقول - دون مغالاة - ان هذه التفكك السياسي كان بشير ازدهار فكري وتسابق حضاري، فلما يشهد المرء له نظيراً في تاريخ الحضارات.

على أنه قد بقي لخليفة بغداد - ورقة خلافته أوسع الرقع - سلطان روحى، يعترف به الولاة في أقصى أطراف المملكة، وان أضخوا أكثر قوة من الخليفة، وأوسع ملكاً منه. فهم يلتقون منه عهود ولايتهم، وخلعه عليهم، ويدعى له في المساجد (2)

وتعدد الخلفاء، واستقلال الامراء بما تحت أيديهم من الملك، لم يكن معناه وضع حواجز أقليلية بين أجزاء هذه المملكة، بحيث تحول هذه الاجزاء بين المسلمين في المشرق وبين اخوانهم في المغرب؛ ولكن كان للمسلم حق المواطن في كل جزء من العالم الإسلامي (3) تكرم وفادته، ويتلقى العلم عن الشيوخ في بلاد ما وراء النهر، وخراسان، فارس، والعراق؛ كما يتلقاه في مصر، والشام، والمغرب، والاندلس، وكذلك الشأن في التجارة. بل ان الامراء كانوا يتسابقون إلى انزال العلماء في رحابهم، واکرام منزلهم، ويستطيع قارئ كتاب مثل: ((معجم البلدان)) لياقوت، أو كتاب ((الانساب)) للسمعاني، أو أي كتاب آخر من كتب الرحلات، أن يجد أدلة ذلك واضحة.

---

(1) الحضارة الإسلامية: ج 1 ص 1.

(2) المصدر السابق: ج 1 ص 2.

(3) المصدر السابق: ج 1 ص 3.

